

عباس بوخبزة يدخل باريس حاملا تونس على ظهره

فنان تشكييلي أسره اللون يسير على خطى كلي وكاندينسكي



العمل الفني فضاء ممتد لا يعبأ بحدود اللوحة

أن يُسال النظر إليها، فهي وبعيدا عن البروباغندا، سنتقلنا حتما إلى عوالم مليئة بالانسجام. وتلك قيمتها الحقيقية التي اكتشفتها باريس، ولم يلتفت إليها في تونس.

ورحبت باريس بإقامته فيها، لقيمتها الفنية والإبداعية. العالم سينظر إلى أعمال الفنان عباس بوخبزة، ولن يلتفت إلى أقواله. ومن المؤكد أن تلك الأعمال تستحق

العناصر المكونة للوحة.. خاصة بعد أن صنف بوخبزة نفسه واحدا من الفنانين المعنين بالتجريد. الأمم المتحدة لم تختر بوخبزة لتسويق شعارات سياسية، بل اختارته،

واختيرت أعماله للعرض في قصر الأمم المتحدة بجنيف، بمناسبة اليوم العالمي للسلام. يقول بوخبزة، إن باريس هي ملهمة الفنانين والشعراء. وهنا نختلف معه. ما الهمة تونس لفنانين وشعراء يفوق بكثير ما الهمة باريس.

لم تكن باريس يوما مصدر إلهام، بل كانت حاضنة تجذب إليها فنانين وشعراء ومبدعين، لم تعرف بلدانهم كيف تحتفظ بهم.

لم تكن باريس يوما مصدر إلهام، بل كانت حاضنة تجذب إليها فنانين وشعراء ومبدعين، لم تعرف بلدانهم كيف تحتفظ بهم. حتى الفنانين من ذوي الأصول الفرنسية، كان الشرق وشمال أفريقيا مصدر وحيهم وإلهامهم، بعضهم جاء إليه بالصدفة، وأكثرهم جاء متائرا بتجارب آخرين سبقوهم إلى هناك. معرض الفنان التونسي في جنيف، "حوش وبيبان"، تضمن 16 لوحة تصورت حول رمزية الأبواب في جزيرة جربة، قال عنها بوخبزة إنها أبواب مشرعة للتعايش بين الأديان والعرقيات. وحمل المعرض هاجسين، الأول، هو التعريف بسقط راسه جزيرة جربة ومن ورائها تونس. والهاجس الثاني، التعايش بين الأديان في جزيرة جربة.

ويؤكد الفنان أن المعرض لجنة أولى في إطار مشروع أكبر هو متحف للسلام في جزيرة جربة، التي تعرف بجزيرة الأحلام. أعمال الفنان المنفذة بالوان الباستيل والاكواريل والكريليك، سيمفونيات لونية، يطفو المشاهد على سطحها. قد تمنحه الشعور بالسلام والانسجام والتعايش، ولكنها أبعد ما تكون عن منشور سياسي. ورغم أن بوخبزة يؤكد أن الشأن السياسي لا يعنيه، وأن ما يشغله هو الفن والإبداع، إلا أنه يعتقد أن بإمكان الفن أن يلعب دورا بارزا في نشر ثقافة السلام ونبيذ الحروب. كنت أتمنى أن يقتصر حديث الفنان على اللون والضوء، كما اقتصر حديث كلي وكاندينسكي من قبل على تلك

عباس بوخبزة هو فنان تشكييلي تونسي، عصامي التكوين، تتلمذ في مشغل الفنان عبدالرزاق الساحلي. منه تعلم المزاجية بين خامات وتقنيات مختلفة، وهي تقوم على ردم الهوة بين الشكل الفني والموضوع المتداول، وتنزع إلى اللانهائي، لتصبح اللوحة جزءا من عالم شاسع ممتد يعجز الإطار عن حجزه.

فاسيلي كاندينسكي أن اكتشفا سحر الجنوب فيها، مجرد بحر وشمس، كما سؤق لها.

يقول الفنان التونسي، عباس بوخبزة، ابن جزيرة جربة، إن لكل حوش (منزل) في الجزيرة حكاية، وكل باب فيها يروي قصصا.. من طقوس الولادة، إلى مراسم الختان وحفلات الخطوبة والزفاف، وطقوس الموت؛ قصصا تلج إليها عبر أبواب مواربة.

الفنان بوخبزة، تابع ما بداهه كلي وماتيس وكاندينسكي، استطاع رغم أنه ولد هناك، أن يحافظ على لحظة الدهشة المرافقة للانطباع الأول. وكما استأذنه الفنان التونسي الراحل عبدالرزاق الساحلي، يعنى بوخبزة لوحاته من الإطارات، ليدعم الإحساس بالانهائي، تماما كما هو الحال مع الأعمال الفنية الإسلامية، حيث لا بداية ولا نهاية، فقط رموز وإيحاءات، تغزو أرضية اللوحة. ولا غرابية بعد ذلك أن يصنف بوخبزة نفسه واحدا من أتباع مدرسة التجريد. ومن سخرية الأقدار أن يأتي كاندينسكي وكلي إلى تونس قادمين من أوروبا، ليعلنا فيها، كما أعلن من قبلهم ماتيس، عن ولادتهم الفنية واكتشافهم اللون الذي أصبحوا جزءا متوحدا معه.

هذه النزعة الصوفية، وهذا التوحد العضوي مع اللون الذي يميز أعمال بوخبزة، لم يكشف النقاب عنه في تونس، التي رحل عنها الفنان عام 2013، متجها إلى باريس حاملا جزيرة جربة، مسقط رأسه، في حقيبة فوق ظهره، كما قال يوما "باريس، فتحت لي أبواب العالمية"، وحجب النصف الآخر من العبارة، "وتونس أقلتتها".

ما كان لفناننا أن يدخل باريس، وما كان لباريس أن تستقبله لو أنه لم يخرج إليها رساما. هكذا استقبلت من قبله كاندينسكي، وكلي وعشرات بل مئات غيرهم. واحتفلت بهم. رحل بوخبزة إلى باريس في إطار البرنامج الفرنسي "موهوب ومهارات" الموجه إلى مبدعين شباب،

علي قاسم كاتب سوري مقيم في تونس

لم يبالغ الفنان السويسري بول كلي عندما وقف على أبواب القيروان، في أبريل عام 1914، معلنا "اليوم فقط أصبحت رساما". متائرا بقراءته كتاب "الديوان الشرقي للمؤلف الغربي" للشاعر غوته، شد كلي الرحال إلى تونس، "كان الجو الصافي يثير في النفس أجمل الوعود"، وكان الدخول إلى تونس كما الدخول إلى مهرجان من الألوان، "أسرني اللون، لا احتاج إلى البحث عنه، لقد تملكني إلى الأبد، أعرف ذلك المعنى السعيد لهذه اللحظة: أنا واللون بنتا شيئا واحدا".



أعمال بوخبزة سيمفونيات لونية تمنحه الشعور بالسلام والتعايش، ولكننا أبعد ما تكون عن منشور سياسي

ماذا منحت القيروان للفنان، الذي سيرفع في ما بعد بوصفه واحدا من المساهمين البارزين في تأسيس مدرسة التجريد، ولم تمنحه إياه سويسرا بلده الأم، والمانيا البلد الذي عاش فيه. بل لم تمنحه إياه باريس التي كانت في ذلك الوقت عاصمة للفن، وقبله الفنانين التشكييليين؟

ليست تونس، التي سبق للفنان الفرنسي هنري ماتيس والروسي

أرزة لبنان تتشكل جماليا عبر شجرة ميلاد وطن جديد

الانكسار لتجسد رمزا. ووضعت على الشجرة أوراقا ليكتب المارة عليها أفكارهم السلبية آملا في أن يتم سماع صوتنا.. فعندما نذكر أننا كنا نعاني أو نمّر بظروف صعبة.. عندها نتمسك ببعضنا البعض تمسكا مرة أخرى بالحياة".

النهاية عبارة عن خيمة كبيرة حملت أمنيات اللبنانيين بولادة لبنان جديد. وعلى جسدها اندمجت الكلمات، والأعمال الفنية والجرافيتي من مختلف المناطق اللبنانية. وفي أسفل الشجرة حائط للأمنيات ليكتب من يشاء أمنياته سواء بالكلمات أو بالرسم. وشكل جوف الخيمة فراغا امتلا بالرسومات. وقد قام الثوار ببناء هيكلها الحديدي في يوم واحد وبكفاءة زهيدة.

أما "حركة شباب الدفاع" فقد ابتكروا شجرتهم الميلادية من عبوات المياه البلاستيكية المستعملة التي حولوها على شكل زهور متواضعة. وغير أحد الثوار عن رمزية الفكرة بقوله "شجرتنا رسالة جوهرها معنا أنه يمكننا إعادة تدوير المخلفات اليومية إلى فكرة ميلادية رمزية في خضم الثورة".

أما "شجرة الإطارات" فقد صنعتها الثوار بعد أن قاموا بتجميع بقايا الإطارات والأسلاك الشائكة المحروقة وحولوها إلى شجرة ميلادية. وتحيل تلك الإطارات إلى تلك التي قطعت بها الطرقات وأحرق بعضها في عدد من الاعتصامات. تذكر أيضا "شجرة أبو الورد" الميلادية. وهذه لها قصتها الخاصة. انطلقت فكرة شجرتهم من حطامها فبعد أن قام عدد من مناصري الأحزاب بتكسير الخيام في رياض الصلح، تم تدمير خيمة أبو الورد، الذي قرّر أن يسكن الساحات ريثما تتحقق مطالبه.

ويسرر أبو الورد قائلا "وجدت نفسي من دون تفكير أجمع حطام خيمتي المنكسرة في نفسها، أجمعتها لتصبح شجرة ميلادية ولدت من

العام"، ضمن حملة "ما لنا غير بعض"، وكانت ثمرة لجهود مواطنين كثر من مختلف المناطق اللبنانية. شجرة شارك في ابتكارها مصمّمون، وفنانون وحرفيون.. شكلها بيروت أن تقنع الثوار باستخدام شجرتها، ولكن لم يوافق أحد منهم على اعتبار أنها رمز للفساد. فانطلقت فكرة إنشائها من الصفر بدعوة عنوانها "صفر ميزانية من المال

العام"، ضمن حملة "ما لنا غير بعض"، وكانت ثمرة لجهود مواطنين كثر من مختلف المناطق اللبنانية. شجرة شارك في ابتكارها مصمّمون، وفنانون وحرفيون.. شكلها



ولادة فضيلة ومضاء بالأمنيات

جاءت لا تختلف عن "شجرة الحياة" في رمزيته، إذ أشارت إلى السلام والرغبة فيه وتحدثت عن الشعور بالافتاء وأزلية التجدد والوحدة ما بين الناس، ونشرت فرح الحياة منذ لحظة بداية التفكير وتنفيذها، وذلك من خلال العطاء والمشاركة والشعور بالآخر. وقد ذكر أحد المواطنين أن أجمل ما أعطتهم الشجرة هي "الفرصة لكي يتعرفوا على شركائهم في الوطن من دون وسيط، ومن ناقل الذكر أن هذا الوسيط كان زعيم هذه الطائفة أو تلك".

كما جاءت الشجرة الواحدة المتولدة في مختلف المناطق جميلة فنية ومبتكرة، إن بالمواد المستخدمة لصناعتها حيناً، أو بالأفكار التي انشأتها أو بفنية التنفيذ الذي كان في تحقيق بعض الأشجار مشحونا بالتفاصيل وتميزا بالبساطة والاختزالية حيناً آخر.

في وجه كل من وجد تفاهة في الانصباب على صناعة أشجار ميلادية في الساحات وصولا إلى الاحتفال بليلة رأس السنة، يقول الثوار "ثورتنا ثورة مطالب محقة، وهذا لا يمنعنا من الاحتفال في الأعياد". وكيف تمنع الثورة الاحتفالات وهي بحد ذاتها عيد وطني أشعل نفوس اللبنانيين بالحب والحماة والرغبة في ابتكار لبنان جديد يشبه أهله ولا يشبه الفاسدين الذين أمعنوا في التفريق في ما بينهم وإفقرهم وإذلالهم سنة بعد سنة؟ من هذه الأشجار نذكر شجرة "الثورة" التي نصبت في ساحة الشهداء وسط بيروت. حاولت بلدية

ميموزا العراوي ناقدة لبنانية

لن ترفع في الساحات إلا السواعد المؤمنة بروعتك الكاسحة لكل مظاهر البشاعة والتفكك ما بين أهل وطن واحد. ولن يقم هيبتك الضاحكة في وجه الفساد إلا من أدرك أنك لا تقومين إلا ببساطة وعمق الحب الذي يكنه أفراد مجتمعون تعارفوا وكان لم يكونوا يوما أولاد وطن واحد.

هؤلاء مثل أهل الثورة اللبنانية الذين عقدوا العزم، وقبيل حلول ليلة الميلاد بايام عديدة على الالتفاف على بعضهم بعضا والمشاركة بأفكارهم وتمويلهم وسواعدهم لتتبعث في واقعهم، وكى يحققوا ولادتك المضيفة والمضاعة في ساحات الثورة اللبنانية. أحرق متربصون بالثورة عددا منك قبل ليلة العيد. لكن الثوار أعادوك أكثر تالقا وأكثر تحملا لملاحمهم هم، دون غيرهم من البشر.

رُفعت في ساحات مختلفة، وواحدة في أن واحد، خارج تقليدية المناسبات المزينة التي يعقد عليها النية، كما في كل سنة، الفاسدون "نجار" الجمال المزيّف ليهدروا مبالغ طائلة من المال العام بحجة صناعتك بهيئات مُملة وشبيهة بكل الأشجار في العالم. هذه الشجرة الميلادية/ الشجرة العلمانية/ الأرزة اللبنانية/ شجرة الحياة.. أضاعت الساحات وجاعت مصنوعة من مواد أعيد تدويرها بفنية وبخصوصية لافتة متأثرة بالموقع الذي أقيمت فيه لتحمل آمال الثوار.